

ماذا نريد من
رمضان؟

حقوق الطبع محفوظة

طبعة مزيدة ومنقحة

الطبعة الثالثة

١٤٤٤ هجري - ٢٠٢٣ ميلادي

رقم الإيداع: ١٥١٨٣/٢٠٠١م

الترقيم الدولي: I.S.B.N :

٩٧٧-٢٦٥-٣٤٣-٥

ماذا نريد من رمضان؟

مجدي الهلالي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

رب يسر وأعن يا كريم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن من رحمة الله وفضله علينا أن جعل لنا في هذه الحياة الدنيا محطات نتزود فيها بالإيمان والتقوى، ونمحو ما علق بقلوبنا من آثار الذنوب والغفلات.. نلتقط فيها أنفاسنا، ونعيد ترتيب أوراقنا، فنخرج منها بروح جديدة، وهمة عالية وقوة نفسية تعيننا على مواجهة الحياة وما فيها من جواذب وصوارف، ونُيسر لنا أداء المهمة التي من أجلها خلقنا الله عزَّجَلَّ.

فإذا ما بحث الواحد منا عن تلك المحطات وجدها كثيرة.. فمنها اليومية كالصلوات الخمس، ومنها الأسبوعية كيوم الجمعة، ومنها السنوية كشهر رمضان، ومنها ما قد يكون مرة واحدة في العمر كالحج والعمرة.

والسعيد من رتب أوراقه، وهيا نفسه للاستفادة من تلك الفرص قبل قدومها عليه، فلا يدعها تمر حتى يتزود منها بكل ما يحتاجه في رحلته إلى الله عزَّجَل، كما قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

ومن أهم المحطات التي تمر على المسلمين مرة واحدة كل عام: شهر رمضان، فها هي الأيام تمضي ويهل علينا الشهر الكريم بخيره وبركته... ولقد جعله الله - عزَّجَل - موسماً لاستباق الخيرات؛ النافلة فيه كالفريضة، والفريضة كسبعين فريضة في غيره.. شعاره: «يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر»... الشياطين فيه مُصَفدة، وأبواب النيران مُغلقة، والأجواء مهيأة لنيل المغفرة والرحمة والعتق من النار. تزينت فيه الجنة ونادت خطَّابها: أن هلموا إليّ، وأسرعوا الخطى،

فالسوق مفتوحة، والبضاعة حاضرة، والمالك جواد كريم.

فهيا بنا نحسن الاستعداد لاستقباله حتى لا نفاجأ
بقدومه.. ومما يعيننا على ذلك معرفة ماذا نريد من هذا الضيف
الكريم؟ وما الوسائل التي سنستخدمها؟

وهذه الصفحات التي بين أيدينا هي محاولة للإجابة عن
هذا السؤال.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.



شهر المغفرة

يقول رسول الله ﷺ:

«رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ...»^(١).

فمن لم يُغفر له في رمضان فمتى يغفر له؟!

يُغفر له وهو غارق في بحر الدنيا بعيداً عن الآخرة؟! أم يُغفر له وهو يلهث وراء الدرهم والدينار وطلبات الزوجة والأولاد؟! نحن لا نتألى على الله تعالى، ولكن كما أخبرنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أن للمغفرة أسباباً، ولدخول الجنة تكاليف، فليس الإيمان بالتمني ولكن ما قر في القلب وصدقه العمل.

ولك -أخي القارئ- أن تتأمل في قوله تعالى:

(١) رواه أحمد (١٢/٤٢١ برقم: ٧٤٥١)، والترمذي (٥/٥٥٠ برقم:

٣٥٤٥)، وقال: حسن غريب، وابن حبان (٣/١٨٩ برقم: ٩٠٨).

رغم أنف: التصق بالتراب كناية عن الذل.

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ
وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٥﴾﴾

[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٥].

هل من مشمر للجنة؟!

يقول رسول الله ﷺ: «أَلَا هَلْ مُشَمِّرٌ إِلَى الْجَنَّةِ؟ فَإِنَّ
الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا هِيَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ نَوْرٌ يَتَلَأَلُ، وَرِيحَانَةٌ تَهْتَرُ،
وَقَصْرٌ مَّشِيدٌ، وَنَهْرٌ مُّطَرِدٌ، وَثَمَرَةٌ نَّضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ حَسَنَاءُ
بَجِيلَةٍ، وَحُلُلٌ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامٍ أَبَدٍ فِي دَارِ سَلِيمَةٍ، وَفَاكِهَةٌ وَخُضْرَةٌ،
وَخَبْرَةٌ، وَنَعْمَةٌ فِي حِلَّةٍ عَالِيَةِ بَهِيَّةٍ» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ
الْمُشَمِّرُونَ لَهَا قَالَ: «قُولُوا: إِنَّ شَاءَ اللَّهُ». قَالَ الْقَوْمُ: إِنَّ شَاءَ
اللَّهُ^(١).

(١) رواه ابن ماجه (٥/ ٣٨٠ برقم: ٤٣٣٢)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٨٩ برقم: ٧٣٨١)، العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٣/ ١١٠٤ برقم: ٦٠١).

إن دخول الجنة يحتاج -بعد التعلق برحمة الله- إلى كثير من المجهود نبذله في طاعة الله، ولم لا؟ وما هي إلا أيام معدودات نمكثها في هذه الحياة الدنيا ثم يعقبها سنوات طوال -لا نهاية لها- في القبر والدار الآخرة.

ليتخيل كل منا حجم الندم والحسرة التي تملأ قلوب الغافلين عندما يتعرضون للحساب الرهيب جزاء تقصيرهم في عبادة خالقهم: ﴿قَلَّ كَمَ لَيْسْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ ١١٢ ﴿قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَتَنُ الْعَالِينَ﴾ ١١٣ ﴿قَلَّ إِن لَّيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنكُم كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ١١٤ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ١١٥ [المؤمنون: ١١٢ - ١١٥].

إن أغلى أمانى أهل القبور أن يعودوا إلى الدنيا ولو للحظة: يسبحون الله فيها تسبيحة أو يسجدون له سجدة واحدة.

فهل لنا فيهم من عبرة؟!

أما آن لنا أن نفيق من غفلاتنا ونستعد لمواجهة المصير الذي ينتظرنا؟!

إننا ما زلنا في الدنيا والفرصة سانحة أمامنا للترود لما بعد الموت، وها هو شهر رمضان يدعونا لذلك.

هيا بنا نشمر عن سواعدنا، ونهجر فراشنا، ونوقظ أهلنا، ونرفع راية الجهاد ضد أنفسنا وشهواتها ورغباتها.

هيا بنا نجيب داعي الله: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ تَكْوِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٧].



أحوال الناس مع رمضان

نعم.. رمضان فرصة عظيمة لا تأتي إلا مرة واحدة في العام، ولكن هل يتعامل معها المسلمون بنفس المستوى؟

- فمن الناس من يعتبر مجيء هذا الشهر عبئاً ثقيلاً عليه يتمنى زواله فلا يرى فيه إلا الحرمان.. هؤلاء دخل عليهم رمضان ثم خرج دون أن يترك فيهم أثراً أو يحدث لهم ذكراً.

- ومنهم من استشعر قيمته فشمر عن سواعد الجِدِّ واجتهد غاية الاجتهاد في الإتيان بأكبر قدر من الطاعات؛ فأكثر من ختم القرآن وأداء الصلوات والقربات دون الاهتمام بحضور القلب فيها... تعامل مع كل وسيلة على أنها هدف في حد ذاته، ولم ينظر إلى الهدف الأسمى الذي يرنو الصيام إلى تحقيقه. مما لا شك فيه أن هؤلاء يشعرون بأثر طيب في قلوبهم.. لكن هذا الأثر سرعان ما يزول بعد انتهاء رمضان بأيام قلائل.

- وهناك صنف من الناس اعتبر رمضان فرصة نادرة لإحياء القلب وإيقاظه من رقدته وإشعال فتيل التقوى وجذوة الإيمان فيه. نظر إلى مُستهدف الصيام فوجده في قول الله عزَّجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] فتقوى الله - عزَّجَلَّ - هي مقصود العبادات: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وعلى قدرها في القلب يكون قرب العبد أو بعده من الله عزَّجَلَّ: ﴿إِن أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقَرُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ خَيْرٍ﴾ [الحجرات: ١٣] ، وعلم هذا الصنف أن شهر رمضان ما جاء إلا ليقرب الناس من ربهم ويزيد من صلاتهم به، ويقطع عن قلوبهم صلتها بالدنيا، فهو يزود القلوب بخير زاد: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فشمر عن سواعد الجِدِّ وأحسن استخدام الوسائل التي وضعها الإسلام في هذا الشهر المبارك وجمع بين عمل القلب وعمل الجوارح.. ومما لا شك فيه أن الصنف الأخير هو الفائز الأكبر من رمضان؛ فلقد

أصلح من خلاله قلبه وانطلق به في طريق السائرين إلى الله...

علامات صلاح القلب

فإن قال قائل: وما علامات صلاح القلب التي ينشدها رمضان؟

عندما يستيقظ الإيمان، وتشتعل جذوته في القلب فإن أمارات الصلاح تظهر بوضوح على الجوارح مصداقاً لقول الرسول ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١) فترى صاحب هذا القلب مسارعاً في الخيرات مُعْظِماً لشعائر الله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، تتحقق فيه المبادأة والذاتية: ﴿لَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤٤]، سريع الاستجابة للتوجيه والنصح: ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وتراه كذلك زاهداً في الدنيا

(١) رواه البخاري: (١/ ٢٠ برقم: ٥٢)، ومسلم: (٣/ ١٢١٩ برقم: ١٥٩٩).

راغباً فيها عند الله، قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ
اُنْشَرَحَ وَانْفَسَحَ»، فقلنا: فما علامة ذلك يا رسول الله؟

قال: «الْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ،
وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نَزْوِلِهِ»^(١).

فإذا كانت هذه بعض علامات تحقيق الهدف فإنه يبقى
السؤال حول كيفية الوصول إليه؟

إن الوسائل معروفة لدينا، بل مارسنا أغلبها من قبل،
ولكن الجديد هو كيف نتعامل معها، ونستفيد منها لنصل إلى
الغاية المنشودة من رمضان؟!

ويمكن تقسيم هذه الوسائل إلى قسمين رئيسين:

قسم يصلح من خلاله العبد ما بينه وبين الله، وهو ما
يمكن أن نطلق عليه الجانب الشعوري الوجداني.

أما القسم الآخر فيختص بعلاقة الفرد بمجتمعه ويسمى
الجانب السلوكي الاجتماعي.

(١) الحديث رواه البيهقي في القضاء والقدر (برقم: ٣٨٩) والزهد (ص: ٣٥٦
برقم: ٩٧٤).. وله رواية عند ابن أبي شيبة والحاكم بلفظ قريب لكنه
تلا: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾.

ولا يمكن الاستغناء بأحد القسمين عن الآخر؛ فكلاهما له دور في إنجاح مهمة المسلم على الأرض، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، فإسلام الوجه لله - وهو أمر شعوري ووجداني - لا بد أن يصاحبه إحسان إلى الخلق، ومن الخطأ الذي يقع فيه البعض التركيز على جانب دون الآخر... فالذي يُعطي جُلَّ جهده فيما يصلح بينه وما بين الله تاركًا كل ما يعود بالنفع على الناس: إيمانه ناقص؛ فالإيمان قول وعمل.. بل إن من أهم نتائج الأعمال الصالحة أنها تزيد إيمان صاحبها وتثبت قواعده في قلبه، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

جاء في الآثار: «أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ نَظَرَتْ الْمَلَائِكَةُ إِلَى عَمَلِهِ، فَإِنْ كَانَ الْعَمَلُ مُوَافِقًا لِقَوْلِهِ صَعِدَا جَمِيعًا، وَإِنْ كَانَ عَمَلُهُ مُخَالَفًا وَقِفَ قَوْلُهُ حَتَّى يَتُوبَ مِنْ عَمَلِهِ»^(١).

وفي المقابل فإن الانشغال بالعمل والحركة وسط الناس لقضاء حوائجهم، وحل مشكلاتهم، وإسداء النفع لهم دون أن

(١) تفسير القرطبي (١٤ / ٣٣٠، ٣٣١).

يصاحب ذلك وجود قلب حي متصل بالله، أمر خطير من شأنه أن يحدث أثراً سلبياً في نفس صاحبه، ولقد حذرنا رسول الله ﷺ من هذا الأمر فقال: «مَثَلُ الَّذِي يَعْلَمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ مِثْلُ الْفَتِيلَةِ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَتَحْرِقُ نَفْسَهَا»^(١).

ويقول الرافعي: «إن الخطأ أكبر الخطأ أن تنظم الحياة من حولك وتترك الفوضى في قلبك»^(٢).

فلا بد من وجود الأمرين معاً ليُشكّل كل منهما طرفاً تنعقد به العروة الوثقى، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: ٢٢].

(١) مجمع الزوائد للهيتمي (٢/ ٨٨٠) وعزاه للطبراني في الكبير، والخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل (برقم: ٧١).

(٢) وحي القلم (٢/ ٤٢).

«القسم الأول»

مع الله

يتيح شهر رمضان للمسلم العديد من الوسائل التي من شأنها أن تحيي قلبه، وتحسن صلته بربه.

أولاً: الصيام

وهو وسيلة عظيمة لامتلاك النفس والسيطرة عليها، وَلِمَ لَا؟ وهي -أي النفس- العائق الأكبر في سير العباد إلى الله؛ فمن شأنها دومًا طلب الحظوظ والفرار من الحقوق، ومن أفضل طرق ترويضها الصيام؛ فبه تضعف مادة شهوتها.

فإذا أردنا أن نستفيد من هذه الوسيلة فعلينا ألا نقضي أغلب النهار في النوم، وعلينا كذلك أن نتوسط في تناول الطعام والشراب عند الإفطار، ولا نتوسع في الأصناف؛ فيكفي صنف أو اثنان، قال الحليمي: «وَكُلُّ طَعَامٍ حَلَالٌ فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ مَا يَثْقُلُ بَدَنَهُ فَيُخَوِّجَهُ إِلَى النَّوْمِ، وَيَمْنَعَهُ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَلْيَأْكُلْ بِقَدَرٍ مَا يُسَكِّنُ جُوعَهُ، وَلْيَكُنْ

غَرَضُهُ مِنَ الْأَكْلِ، أَنْ يَشْتَغَلَ بِالْعِبَادَةِ، وَيَقْوَى عَلَيْهَا»^(١).

ومع الصيام عن الطعام والشراب، علينا كذلك الإقلال من الكلام والضحك قدر المستطاع، ولنرفع شعار: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ»^(٢)، وليكن كلامنا بعيداً عن اللغو وسائر آفات اللسان.

ثانيًا: التعلق بالمساجد

المسجد له دور كبير في تنوير القلوب.. ففي ختام قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] يقول تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥]، وفي الآية التي تلتها حدّد سبحانه أعظم مكان لتلقي نوره بقوله: ﴿فِي يُوبِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦] ففي المسجد تربط القلوب على طاعة الله وتحبس النفس عن معصيته.

(١) شعب الإيمان (٧/ ٤٣٣).

(٢) جزء من حديث رواه ابن المبارك في الزهد (برقم: ١٣٤)، وأحمد في المسند (٣٦/ ٥٧٠ برقم: ٢٢٢٣٥)، والترمذي (٤/ ٦٠٥ برقم: ٢٤٠٦).

يقول رسول الله ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»^(١).

إن قلب المؤمن كثير التقلب من حالة إلى حالة نتيجة التنازع المستمر بين داعي الإيمان وداعي الهوى، وهو بحاجة إلى ربطه وتثبيته على حالة الإيمان.. وهنا يأتي دور المسجد، قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]: «لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوٌ يُرَابِطُ فِيهِ وَلَكِنْ انْتَظَرُ الصَّلَاةَ بَعْدَ الصَّلَاةِ»^(٢).

فلنبكر بالذهاب إلى المسجد ولا نترك أماكننا بعد الصلاة إلا لضرورة كي ننعيم بصلاة الملائكة علينا. قال رسول الله ﷺ: «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»^(٣).

(١) رواه مسلم (٢١٩/١) برقم: (٢٥١).

(٢) المستدرک علی الصحیحین للحاکم (٢/ ٣٢٩ برقم: ٣١٧٧).

(٣) رواه البخاري: (٩٦/١) برقم: (٤٤٥)، ومسلم: (٤٥٩/١) برقم: (٦٤٩).

وعلى الأخت المسلمة أن تخصص مكاناً في بيتها تتخذه مسجداً، فتبكر في الذهاب إليه وتنتظر الصلاة وتردد الأذان وتُطيل المُكث فيه كلما سنحت ظروفها.

ثالثاً: القرآن الكريم

رمضان شهر القرآن، وقد كان من هدي رسول الله ﷺ مدارس القرآن فيه.. فهو وسيلة عظيمة لشفاء القلوب وهدايتها وتنويرها، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْوِينُ مَوْعِظَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، وعلى قدر صلة المسلم بالقرآن تكون صلته بالله. قال رسول الله ﷺ: «أَبْشُرُوا، فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَن تَهْلِكُوا وَلَن تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا»^(١).

وهذه الوسيلة العظيمة لن تحقق مقصودها ولن تكون هدى وشفاء ونوراً إلا إذا تعاملنا معها بالشكل الذي يريده الله عز وجل

(١) الطبراني في الكبير (٢/ ١٢٦ برقم: ١٥٣٩)، وابن حبان: (١/ ٣٢٩ برقم: ١٢٢)، والبخاري: كشف الأستار (١/ ٧٧ برقم: ١٢٠)، ومصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨١).

.. لقد نزل القرآن للتدبره ونستخرج منه ما ينفعنا لا لنقرأه
 بألسنتنا فقط، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا الْقُرْآنَ لِتُدَبَّرُوا
 بِهِ أَيْتُهُ﴾ [ص: ٢٩]، والتدبر بمعناه الصحيح هو التفكير العقلي
 في الآيات والعمل على تجاوب المشاعر معها، ورسوخ مدلول
 ذلك التجاوب في القلب مما قد يثمر عملاً بالجوارح.. قال بعض
 السلف: لا يجالس أحد القرآن ويقوم سالماً إما أن يربح
 أو يخسر، قال تعالى: ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ
 لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

أخي.. لقد قرأنا القرآن بألسنتنا قبل ذلك مرات ومرات،
 وكان هم الواحد منا الانتهاء من ختمه، بل وكان بعضنا
 يتنافس في عدد المرات التي يختمه فيها وبخاصة في رمضان،
 فأني استفادة حقيقية استفدناها من ذلك؟! ماذا غير فينا
 القرآن؟!

إن القراءة باللسان فقط -دون حضور القلب- كالنخالة
 كبيرة الحجم قليلة الفائدة، وهذا ما كان يؤكده الصالحون على
 مر العصور.

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ»^(١)، وقال الحسن: «يَا ابْنَ آدَمَ كَيْفَ يَرِقُّ قَلْبُكَ؟ وَإِنَّمَا هِمَّتْكَ فِي آخِرِ سُورَتِكَ»؟!^(٢).

ويؤكد هذا المعنى ابن القيم فيقول رحمه الله: «لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكير، فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العالمين، ومقامات العارفين. فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواه؛ فقراءة آية بتفكير خير من ختمة بغير تدبر وتفهم»^(٣).

فليكن رمضان هو البداية الحقيقية للتعامل الصحيح مع القرآن.

كيف ننتفع بالقرآن؟

القرآن هو أهم وسيلة لترقيق القلوب.. قال وهيب بن الورد: «نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئاً أرق للقلوب ولا أشد استجلاباً للحنن من قراءة القرآن وتفهمه

(١) مختصر قيام الليل (ص: ١٤٨).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٤٨).

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/ ١٨٧) والأثر رواه الآجري في أخلاق أهل القرآن (برقم: ١).

وتدبره»^(١).

وتلاوة القرآن حق تلاوته - كما يقول أبو حامد الغزالي -
«هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان
تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ
القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والانتهاز، فاللسان يرتل،
والعقل يترجم، والقلب يتعظ»^(٢).

وهذه بعض الوسائل العملية التي من شأنها أن تُيسر لنا
-بعون الله- الانتفاع بالقرآن:

- قبل بدء القراءة، دعاء الله والإلحاح عليه بأن يفتح قلوبنا
لأنوار كتابه، وأن يكرمنا ويعيننا على التدبر الصحيح والتأثر،
فهذا الدعاء له دور كبير في تهيئ القلب لاستقبال
القرآن: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ ١٣ ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الْدِّينَ﴾ [غافر: ١٣، ١٤].

- البحث عن الهداية في القرآن، فالقرآن كما أسلفنا هو أعظم
وسيلة للهداية والشفاء والتغيير الجذري للنفس، فينبغي

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٥).

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٧).

أن نتعامل معه من هذا المنطلق، فلا يكون همنا الانتهاء من تلاوة أكبر قدر من الآيات وحسب، بل تكون غايتنا من القراءة هي تحصيل الهدى والشفاء والتغيير بإذن الله، ومما يساعدنا على ذلك في بداية رحلتنا مع القرآن، استصحاب معنى إيماني أبحث عنه أثناء القراءة^(١)، يقول الله عزَّجَلَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلْسَائِلِينَ﴾ [يوسف: ٧].

- الإكثار من تلاوة القرآن، وإطالة فترة المكث معه، ويُفَضَّل أن يكون اللقاء بالقرآن في مكان هادئ -قدر المستطاع- وبعيداً عن الضوضاء؛ ليساعد المرء على التركيز وعدم شروذ الذهن، ولا ننسى الوضوء والسواك قبل القراءة.
- القراءة من المصحف بصوت مسموع وبترتيل، فالترتيل له وظيفة كبيرة في الطرق على المشاعر؛ ومن ثم استثارها وتجاوبها مع الفهم الذي سيولده التفكير؛ لينشأ بذلك الإيمان حينما يتعاقق الفهم مع التأثير.

(١) تم بفضل الله ذكر نماذج لمعاني إيمانية يمكن استصحابها أثناء التلاوة في كتاب: «بناء الإيمان من خلال القرآن» وهو متاح للتحميل والقراءة على موقع الإيمان أولاً.

- القراءة الهادئة الحزينة، علينا ونحن نُرتل القرآن أن نعطي الحروف والغُنَّات والمدود حقها؛ حتى يتيسر لنا معاشة الآيات والتفكر فيها والتأثر بها، وعلينا كذلك أن نقرأ القرآن بصوت حزين لاستجلاب التأثير.. ومع هذه القراءة الهادئة علينا بالإنصات التام مع التلاوة.. والإنصات هو أعلى درجات تركيز المرء مع الصوت، فيكون في حالة من التركيز والاستغراق التام مع الآيات، وهذه هي وصية الله لنا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

- الفهم الإجمالي للآيات من خلال إعمال العقل في تفهّم الخطاب، وهذا يستلزم منا التركيز التام مع القراءة، وليس معنى إعمال العقل في تفهّم الخطاب أن نقف عند كل كلمة ونتكلف في معرفة معناها وما وراءها، بل يكفي المعنى الإجمالي الذي تدل عليه الآية أو الآيات حتى يتسنى لنا الاسترسال في القراءة؛ ومن ثم التصاعد التدريجي لحركة المشاعر، فتصل إلى التأثير والانفعال في أسرع وقت.

- الاجتهاد في التعامل مع القرآن كأنه أنزل عليك، وكأنك المخاطب به، والاجتهاد كذلك في التفاعل مع هذا الخطاب من خلال الرد على الأسئلة التي تتضمنتها الآيات، والتأمين عند مواضع الدعاء، والتسبيح في مواضع التسبيح، وسؤال الله الجنة، والاستعاذة من النار في مواضعها... وهكذا.
- تكرار وترديد الآية أو الآيات التي حدث معها تجاوب وتأثر قلبي، حتى يتسنى للقلب الاستزادة من النور الذي يدخل، والإيمان الذي ينشأ في هذه اللحظات.
- لا بأس من وجود تفسير مختصر بجوارنا، لجلاء شبهة أو معرفة معنى شقَّ علينا فهمه، وإن كان من الأفضل الرجوع إليه بعد انتهاء القراءة حتى لا نخرج من جو القرآن والانفعالات الوجدانية التي نعيش في رحابها، إلا إذا ألحَّت علينا كلمة نريد معرفة معناها في التو واللحظة^(١).
- الاجتهاد في الإنصات للآيات، والتركيز أثناء القراءة،

(١) يمكننا أن نقرأ من مصحف به هامش بمعاني الكلمات فأنظر سريعاً إلى الكلمة التي لم أفهمها دون قطع التلاوة.

علينا أن نجتهد في الإنصات للآيات التي تطرق مسامعنا
قدر المستطاع، قال تعالى:

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[الأعراف: ٢٠٤]، والإنصات - كما سبق - هو أعلى درجات التركيز مع الصوت، وينصت المرء حينما يشعر بأهمية ما يسمع أو يقرأ، ويلمس حاجته الشديدة إليه، فكيف بمن يقرأ القرآن الكريم!، وليس أدل على ذلك من حال الجن حين استمعوا القرآن للمرة الأولى، فقد أدركوا أهميته القصوى، وحاجتهم الماسة إليه فماذا قالوا؟ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

فحري بنا أن نفعل مثل ما فعلوا حتى ننتفع بالقرآن:
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

رابعاً: قيام الليل

قيام الليل من الوسائل المهمة في إحياء القلب، يقول رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ،

وَأَنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلْسَيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ»^(١).

إن التعرض لنفحات الليل واقتسام الغنيمة مع المجتهدين لمن أعظم وسائل غرس الإيمان في القلب... ولقد افترض الله قيام الليل على رسول الله ﷺ والصحابة الكرام قبل أن تنزل الفرائض، وقبل أن تشرع الحدود، بل قبل أن تفرض الصلوات الخمس؛ لأن الإنسان إذا خلا بربه واتصل قلبه به في جنح الليل طهر القلب ونزلت عليه الفيوضات.

إن هذه الوسيلة العظيمة التي تجمع بين تدبر القرآن وما فيه من كنوز وبين الركوع والسجود، وما فيها من معاني الذل والخضوع والانكسار للمولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمَنْ أَهَمُّ وَسَائِلُ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فلا ينبغي أن تفوتنا ليلة دون قيام مهما كانت الظروف، والأفضل بجانب أدائنا لصلاة التراويح أن نستيقظ قبل طلوع الفجر بوقت كافٍ للتهجد والاستغفار، لتذوق طعم الحياة الحقيقية باستنشاق نسيم الأسحار ونحن نناجي الرحمن.

(١) رواه الترمذي (٥٥٢/٥) برقم: (٣٥٤٩) والطبراني (٦/٢٥٨) برقم:

قال بعض الصالحين: «ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة»^(١). وقال إقبال: «كن مع من شئت في العلم والحكمة، ولكنك لا ترجع بطائل، حتى تكون لك أنة في السحر»^(٢)... إنه - رحمه الله - يريد أن يقول: كن داعياً ناجحاً.. كن خطيئاً مفوهاً.. كن محاضراً فذاً، كن كما تريد، ولكنك لن تفيد نفسك إلا إذا كانت لك وقفة مع الله في السحر تخلع فيها ثياب الشهرة والعزة، وتنزع فيها الألقاب الزائفة وتعيش حال العبد الخائف من غضب مولاه الطامع في رحمته.

فجهّز مطالبك، وحدد أهدافك، وكن خفيف النوم تنتظر دقائق الساعة للخلوة بالحبيب...

من فقه القيام

عندما يُمْنُ الله علينا بالاستيقاظ قبل الفجر بوقت كافٍ، علينا ألا نطيل القيام والقراءة فقط بل نطيل الركوع والسجود أيضاً.

(١) قوت القلوب لأبي طالب المكي (١/ ٧١).

(٢) روائع إقبال لأبي الحسن الندوي (٤٥، ٤٦) - دار القلم - دمشق.

فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ ففي السجود يتم إخراج معاني الذل والانكسار وإظهار الفقر والمسكنة لمن بيده ملكوت السماوات والأرض.

فمناجاة الله في السجود من أعظم صور الفرار إليه سبحانه واسترضائه، وطلب العفو والصفح منه وإظهار الذل والخضوع له.. وفيه يقدم العبد طلباته ويرفع حاجاته.

اسجد واقترب

إذا أردنا أن نحقق السجدة هدفها، فنقترب من خلالها إلى الله شيئاً فشيئاً كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩] علينا أن نجعلها سجدة حارة تنسكب فيها الدموع لتكون مداد رسائلنا إلى مولانا.

قال عبد الله بن المبارك:

إذا ما الليل أظلم كابدوه	فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا	وأهل الأمن في الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهم سجد	أنينٌ منه تنفرج الضلوع

ماذا نفعل لو حُرِمنا القيام؟!

قد نأخذ بجميع الأسباب المعينة على الاستيقاظ للتهجد ثم نفاجأ بأذان الفجر. فماذا نفعل؟! إنها رسالة من الله -عَزَّوَجَلَّ- تحمل لنا معاني كثيرة، منها: أن هذا الحرمان قد يكون بسبب ذنب أذنبناه أو تقصير في حق من الحقوق.. ومنها: أن الرغبة في القيام لم تكن أكيدة.. ومنها: أنها قد تكون ابتلاء من الله لينظر ماذا سنفعل؟!!

فإذا حدث ذلك فعلينا بالفرار إلى الله في الصلاة والدعاء نسترضيه ونستغفره ونتملقه عساه يعفو عنا.. وعلينا أيضاً بصدقة السر فإنها تطفئ غضب الرب.

ومن توصيات الرسول ﷺ أن من فاتته صلاته بالليل فليصلها ما بين صلاة الفجر والظهر، كما روى الإمام مسلم في صحيحه^(١).

وفي بعض الأحوال قد نستيقظ قبل الفجر وعندما نبدأ في الصلاة نفاجأ بهروب قلوبنا منا في أودية الدنيا، وكلما حاولنا

(١) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ مِنَ اللَّيْلِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَفَرَّاهُ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ».

جمعها مع الله فَرَّتْ منا، فماذا نفعل؟!

يقول ابن الجوزي: «إذا جلست في ظلام الليل بين يدي سيدك، فاستعمل أخلاق الأطفال، فإن الطفل إذا طلب من أبيه شيئاً فلم يعطه بكى عليه»^(١).

فعلينا في هذه الحالة بالإلحاح والإلحاح على الله عَزَّوَجَلَّ، والاستغفار مرات ومرات حتى يفتح لنا الباب، ألم يقل سبحانه: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [الأنعام: ٤٣]، فعدم القيام أو حرمان حلاوة المناجاة وإقبال القلب على الله عقوبة منه سبحانه تستوجب تضرعاً وإلحاحاً واستغفاراً لعله يرانا على هذا الحال فيعفو عنا.

خامساً: الاستفادة من الأوقات الفاضلة

يقول ابن رجب: «جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِبَعْضِ الشُّهُور فضلاً على بعض، كما جعل بعض الأيام والليالي أفضل من بعض، وجعل ليلة القدر خيراً من ألف شهر.. وما من هذه المواسم الفاضلة موسم إلا والله تعالى وظيفه من وظائف طاعته يُتَقَرَّبُ بها إليه، والله فيها لطيفة من نفحاته يصيب بها

من يشاء بفضلله ورحمته، فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والساعات وتقرَّب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات يسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار وما فيها من لفحات^(١).

يقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا؛ لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا»^(٢).

هذه النفحات - بلا شك - ستصيب من يتعرض لها، أما الغافل عنها فأحسن الله عزاءه.

● فعلى مستوى اليوم هناك ثلاثة أوقات يسميها العلماء بأوقات السير إلى الله بالطاعات، وهي: آخر الليل وأول النهار وآخره، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ»^(٣)، وقد وردت نصوص كثيرة في فضل أذكار الصباح والمساء، وفي

(١) تفسير ابن رجب (١/ ٥٣٢).

(٢) المعجم الكبير للطبراني (١٩/ ٢٣٣ برقم: ٥١٩)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ٢٣١ برقم: ١٧٧١٢) واللفظ له.

(٣) صحيح البخاري: (١/ ١٦ برقم: ٣٩).

فضل مَنْ ذكر الله حين يصبح وحين يمسى، وكان السلف
لآخر النهار أشد تعظيماً من أوله.

يقول البنا: «أيها الأخ العزيز أمامك كل يوم لحظة بالغداة
ولحظة بالعشي ولحظة بالسحر تستطيع أن تسمو فيها كلها
بروحك الطهور إلى الملاء الأعلى، فتظفر بخيري الدنيا
والآخرة.. وأمامك مواسم الطاعات وأيام العبادات وليالي
القربات التي وجَّهك إليها كتابك الكريم ورسولك العظيم
ﷺ، فاحرص أن تكون فيها من الذاكرين لا من الغافلين،
ومن العاملين لا من الخاملين.. واغتنم الوقت، فالوقت
كالسيف، ودع التسويف فلا أضرمه»^(١).

• أما بالنسبة للأسبوع، فليوم الجمعة شرف عظيم وفيه ساعة
يُجاب فيها الدعاء فلنحرص على التعرض لها، يقول
النووي: «ويستحب الإكثار من الدعاء في جميع يوم
الجمعة، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس رجاء مصادفة
ساعة الإجابة»^(٢)، فعلينا بالاجتهاد في هذا اليوم المبارك

(١) الرقائق للراشد (ص: ١٨) مؤسسة الرسالة.

(٢) الأذكار للنووي (ص: ١٢٩).

ولنضع له برنامجاً خاصاً، ولنُبَكِّر فيه الذهاب إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة على أحسن هيئة.

• وإن كان شهر رمضان له أفضلية خاصة عن بقية الشهور فإن ليلة القدر لها شرف عظيم، يقول رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١)، والتماس ليلة القدر إنما يكون في العشر الأواخر من رمضان؛ لذلك يُستحب الاجتهاد فيها؛ فلقد كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله.

• ومن هذه المواسم أيضاً: موسم العمرة، فهي في رمضان تعدل حجة، فلنحرص على القيام بها..

وليعمل كل منا على أن ينظم أموره بالطريقة التي تعينه على الاستفادة من هذه الأوقات الفاضلة؛ فإن فاتته وقت منها لم يترك الاجتهاد في البقية الأخرى.

(١) صحيح البخاري (٣/ ٢٦ برقم: ١٩٠١).

سادسًا: الاعتكاف

الاعتكاف هو لزوم المسجد لطاعة الله، وهو مستحب في كل وقت في رمضان وغيره، وأفضله في العشر الأواخر من رمضان؛ ليتعرض العبد فيها لليلة القدر والتي هي خير من ألف شهر. ولقد ذهب الإمام أحمد إلى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة الناس حتى وإن كان لتعليم علم وإقراء قرآن، بل الأفضل له الانفراد بنفسه والتخلي بمناجاة ربه وذكره ودعائه.

وهذا الاعتكاف هو الخلوة الشرعية التي لا يُترك معها الجُمع والجماعات، فعلينا أن نغتني أي وقت -مهما قَصُر- في نهار رمضان أو ليله ننوي فيه الاعتكاف ونختلي فيه بالله عزَّجَلَّ..

ولنحرص على الاعتكاف في العشر الأواخر، فإن لم نستطع فليكن ذلك في لياليها وبخاصة الوتر منها، ولنحذر من الخلطة والكلام وكل ما يقطع علينا خلوتنا بالله عزَّجَلَّ، يقول ابن رجب: «فحقيقة الاعتكاف قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق»^(١).

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٩١).

وللأخت المسلمة أن تعتكف في مسجد بيتها استنادًا على رأي الأحناف في جواز ذلك، ولتقتطع من يومها وقتًا تلازم فيه مسجدها وتُقبل فيه على الله عزَّجَلَّ.

سابعًا: الدعاء

الدعاء هو العبادة، ولا يرد القدر سواه، ففيه يتمثل فقر العبد وذله وانكساره إلى من بيده ملكوت كل شيء.. وهناك أوقات مخصوصة يُفضل فيها الدعاء، منها: بين الأذان والإقامة، ودُبر الصلوات، وفي الثلث الأخير من الليل، ويوم الجمعة منذ أن يصعد الإمام المنبر حتى تنتهي الصلاة، وكذلك في الساعة الأخيرة من هذا اليوم، وفي ليلة القدر، وعند نزول المطر، وللصائم دعوة مستجابة، وكذلك المسافر، وفي كل ليلة من رمضان عتقاء من النار، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فعلى اغتنام تلك الأوقات نتذل فيها لله، ونتبرأ من حولنا وقوتنا.. نستعطفه ونتملقه ونسترضيه ونسأله من خيري الدنيا والآخرة، ولنحذر من الدعاء باللسان دون حضور القلب. قال رسول الله ﷺ: «وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِبُّ دُعَاءَ

مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَّاؤٍ»^(١).

ولنكثر من الدعاء لإخواننا المسلمين المضطهدين في كل مكان، ولنخص المرابطين في فلسطين بحظ وافر من الدعاء.. ولندع كذلك على الطغاة الظالمين الذين يحادّون الله ورسوله في كل مكان، عساه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أن يفرّج الكرب ويكشف الغمّة ويُنزل نصره الذي وعد، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

ثامناً: الصدقة

إن المتأمل لكتاب الله - عَزَّوَجَلَّ - يجد الكثير من الآيات التي تحث المسلم على الإنفاق في سبيل الله، ولقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، يقول تعالى: ﴿حُذِرْنَ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، فالمستفيد الأول من الصدقة هو صاحبها لأنها تخلصه من الشح وتطهره من الذنوب.

(١) رواه الترمذي (٥/٥١٧ برقم: ٣٤٧٩)، والبخاري (١٧/٣٠٧ برقم: ١٠٠٦١)، والحاكم (١/٦٧٠ برقم: ١٨١٧)، وقال: حديث مستقيم الإسناد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فبداية انطلاق النفس نحو السماء وتخلصها من جواذب الأرض هو تطهرها من الشح المجلولة عليه بدوام الإنفاق في سبيل الله، حتى يصير سجية من سجاياها فتزهد في المال ويخرج حبه من القلب.

وللصدقة فضل عظيم في الدنيا والآخرة: فهي تداوي المرضى، وتدفع البلاء، وتيسر الأمور، وتجلب الرزق، وتقي مصارع السوء، وتطفئ غضب الرب، وتزيل أثر الذنوب، وهي ظل لصاحبها يوم القيامة، وتحجبه عن النار وتدفع عنه العذاب.. وللصدقة علاقة وثيقة بالسير إلى الله، يقول تعالى:

﴿فَقَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَىٰ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَواتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَىٰ لَهُمْ سَبِّحْهُمْ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [التوبة: ٩٩]، ولا عذر لأحد في تركها؛ فالله عزَّ وجلَّ لم يحدد لنا قدرًا معينًا نتصدق به، فالباب مفتوح أمام الجميع كل حسب استطاعته.

ولكي تؤتي الصدقة ثمارها المرجوة، لا بد من متابعتها بصورة يومية كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

بِالْيَلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ [البقرة: ٢٧٤]،
فلنُخرج الصدقة كل يوم ولو ما يعادل شق تمر، ولنخصص
صندوقاً في البيت لذلك ليسهل علينا المداومة عليها، ثم نعطها
كل فترة لمن يستحقها.

تاسعاً: الفكر والذكر

ذكر الله - عَزَّجَلَّ - هو قوت القلوب ومادة حياتها، قال
رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ
الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»^(١).

ويقول ابن تيمية: «الذكر للقلب مثل الماء للسّمك،
فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء»؟!^(٢) ودور الجنة تُبنى
بالذكر، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن

(١) البخاري في الدعوات باب فضل ذكر الله عَزَّجَلَّ (٢٠٨/١١)، ومسلم في
صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها
في المسجد (٥٣٩/١).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤٢).

البناء، فإذا أخذ في الذكر أخذوا في البناء^(١).

ولكي يستفيد المسلم من الذكر ويواظب على لسانه قلبه فيحدث فيه الأثر المطلوب لا بد من ربطه بعبادة التفكير، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

ويقول الحسن البصري: «إِنَّ أَهْلَ الْعَقْلِ لَمْ يَزَالُوا يَعُودُونَ بِالذِّكْرِ عَلَى الْفِكْرِ وَبِالْفِكْرِ عَلَى الذِّكْرِ حَتَّى اسْتَيْقَظَتْ قُلُوبُهُمْ فَنَطَقَتْ بِالْحِكْمَةِ»^(٢).

فالبداية تكون بالتفكير في مجال من المجالات، ثم يتبع ذلك بالذكر المناسب له. فعلى سبيل المثال: إذا تفكر المرء في ذنوبه وتقصيره في جنب الله، عليه أن يتبعه بالاستغفار.

وإذا ما تفكر في بديع صنع الله وآياته في النفس والكون

(١) المصدر السابق (ص: ٧٩).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠ / ١٩).

أتبع ذلك بالتسبيح والحمد، وعندما يتفكر العبد في حاجته الماسة إلى الله وفقره الذاتي إليه ردد بعده ذكر: لا حول ولا قوة إلا بالله، وهكذا في بقية الأذكار.

فعلينا أن نضع لأنفسنا أوراذاً من الذكر نلتزم بها ونعمل على مواطأة القلب اللسان فيها، ولنعلم أن الثواب التام على قدر العمل التام؛ فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب؛ فتكون صورة العاملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض.

وفي أذكار الصباح والمساء وكذلك أذكار الأحوال معانٍ عظيمة علينا أن نتفكر فيها ونحن نردد تلك الأذكار في أوقاتها.

عاشراً: محاسبة النفس

بعد مرور عدة أيام من رمضان تصبح النفس سهلة القيادة.. عند ذلك علينا أن نبدأ في محاسبتها على ما مضى من أعمال. وهناك مجالات كثيرة لمحاسبة النفس تتناول حياة المسلم من جميع جوانبها، على الواحد منا أن يقف أمام كل بند من بنودها ليعرف أين تقع أقدامه بالنسبة إليه. وحبذا لو سجلنا الذنوب وأوجه التقصير ليكون ذلك دافعاً لحسن التوبة وتصحيح المسار.

مجالات المحاسبة

- عبادات الجوارح: مثل الصلوات الخمس في أول وقتها في المسجد، السنن الرواتب، أذكار الصلاة، صيام رمضان وصيام التطوع، مداومة الإنفاق في سبيل الله، أذكار الصباح والمساء، تحري السنة في الأقوال والأفعال.
- معاصي الجوارح: مثل الغيبة والنميمة، السخرية، الاستهزاء بالآخرين، الجدل والمراء، إفشاء السر، الغمز واللمز، الكذب، اللغو والثرثرة، عدم غض البصر، الخوض في الباطل، سرعة الغضب، إخلاف الوعد.
- عبادات القلب: كالخشوع في الصلاة، الخوف من الله واستشعار مراقبته، الرضا بقضاء الله وقدره، التوكل على الله، الصبر عند المصيبة، الشكر عند ورود النعم.
- معاصي القلوب: كالإعجاب بالعمل والتسميع به، الضيق بالنقد، الحسد، الغرور، المباهاة، المن بالعطايا، اتباع الهوى، احتقار الآخرين، وسوء الظن بهم.
- الحقوق: كحقوق الزوجة، والأولاد، والوالدين، الرحم، الجيران، حق الطريق، حق الدعوة، الأخوة.

- السلوكيات وفضائل الأعمال: كالسعي لقضاء حوائج الناس، لين الجانب، التواضع، عيادة المريض، اتباع الجنائز، الإحسان إلى الآخرين، أداء الأمانات إلى أهلها، دوام التبسم والبشر، إتقان العمل.

وعلينا بعد كل جلسة من هذه الجلسات الإكثار من الاستغفار، ولو أمكن الصلاة - ولتكن صلاة التوبة^(١) - قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

(١) قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يذنب ذنبًا ثم يقوم فيستطهر، ثم يصلي ثم يستغفر الله إلا غفر له». سنن الترمذي (٥ / ٢٢٨ برقم: ٣٠٠٦).

خلاصة القسم الأول

هناك عشر وسائل تساهم - بإذن الله - في تحقيق الثمرة المرجوة من رمضان، علينا أن نضع من خلالها برنامجاً لأنفسنا نسير عليه طيلة هذا الشهر المبارك، ولنجعل في يومنا ثوابت لا نحيد عنها.

- فنخصص وقتاً ثابتاً للاعتكاف في المسجد وليكن من الفجر حتى طلوع الشمس، فإن لم نستطع فمن بعد العصر إلى المغرب، نقرأ في هذا الوقت ورد القرآن بالطريقة التي أشرنا إليها.

- ولنخصص صندوقاً في البيت نضع فيه الصدقة اليومية، وليكن لنا وقت للتهجد قبل الفجر ولو بنصف ساعة بخلاف صلاة التراويح.

- وعلينا كذلك تخصيص أورد من الذكر المطلق، كسبحان الله وبحمده (مائة) مرة، واستغفار (...) مرة، وصلاة على الرسول ﷺ (...) مرة، وحوقله (...) مرة، ويقترح

تقسيم هذه الأذكار على مدار اليوم واللييلة.

- وعلينا أن نستفيد من أوقات استجابة الدعاء، فنلح فيها على الله - عَزَّوَجَلَّ - وندعوه دعاء المضطر المشرف على الغرق لنا ولأهلنا ولإخواننا وللمسلمين أجمعين.
- ولنتحين الفرصة المناسبة التي نخلو بأنفسنا، ولنحاسبها على ما مضى...



«القسم الثاني» مع الناس

إن السعي بالخير وسط الناس له مردود إيماني كبير في قلب العبد المسلم؛ فهو يزيد الإيثار ويثبت به ويصل بصاحبه إلى أن يكون محبوباً عند الله عز وجل.

قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأنَّ أَمْسِيَّ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَرَّ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمِضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَنْتَبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَرْوُلُ الْأَقْدَامِ، وَإِنَّ الْخُلُقَ السَّيِّئَ يُفْسِدُ الْأَعْمَالَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ»^(١).

(١) رواه الطبراني (١٢/٤٥٣)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٤٨) وقوله: =

وإليك أخي المسلم بعضاً من أعمال الخير علينا أن نحرص على القيام بها في رمضان شريطة ألا يكون ذلك على حساب العمل مع أنفسنا، فالتركيز الأكبر في شهر رمضان وغيره ينبغي أن يكون في اتجاه الأعمال الفردية التي تملأ القلب بالإيمان، والذي من شأنه أن يدفعنا طيلة العام لبذل الجهد في كافة أوجه الخير والدعوة والبر والصلة...

١- الإحسان إلى الزوجة والأولاد

إن الإحسان الحقيقي للزوجة والأولاد إنما يكون بأخذ أيديهم إلى طريق الله والتنافس معهم في السباق نحو الجنان.. ولقد طالبنا الله بذلك، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، فعلينا أن نستفيد من موسم رمضان في الارتقاء الإيماني والسلوكي بهم؛ فنجلس معهم قبيل حلول الشهر المبارك، ونضع لكل منهم برنامجاً يسير عليه، ويراعي جانبي العروة الوثقى، وهما -كما مر علينا سابقاً- إخلاص العبادة لله والإحسان إلى الخلق.

وعلينا كذلك أن ننظم لهم أوقاتهم ليتمكنوا من القيام بما عليهم من واجبات، ولنخصص مكانًا في البيت ليكون بمثابة مسجد لهم.

ولتكن لنا معهم جلسة يومية - وإن قصرت - ونختار لها الوقت المناسب للجميع، وفيها نقرأ معًا ما تيسر من القرآن مع الاستماع إلى خواطرهم النافعة.

ومع القرآن علينا أن نتدارس كتابًا نافعًا في الحديث أو السيرة، ثم نتابع حصيلة اليوم من الأعمال الصالحة فنشجع المحسن ونشحذ همة المقصر، ونختم اللقاء بالدعاء لأنفسنا وللمسلمين.

٢- الجود والكرم

وهذا باب عظيم من أبواب الخير علينا أن نلججه في رمضان: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، لِأَنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ يَغْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ

جَبْرِيلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»^(١). فلنر الله من أنفسنا خيرًا في هذا الشهر المبارك فهو - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يحب أهل السخاء والكرم، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكِرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، وَيُحِبُّ مَعَآلِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»^(٢).

ومن سمات أهل الكرم والسخاء أنهم يبذلون من كل ما يملكون بلا حساب؛ سواء أكان ذلك مالاً أم علماً أم وقتاً أم جهداً.

ولقد أوصى رسول الله ﷺ أساء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بذلك فقال لها: «لَا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللَّهُ عَلَيْكَ»^(٣) والمعنى - كما يقول ابن حجر - في الفتح: «النهى عن منع الصدقة خشية النفاق، فإن ذلك أعظم الأسباب لقطع مادة البركة؛ لأن الله يثيب على العطاء بغير حساب، ومن لا يحاسب عند الجزاء لا

(١) البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ (برقم: ٤٩٩٧)، مسلم: كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة (٤/ ١٨٠٣).

(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (١/ ١٩) برقم: (٨).

(٣) رواه البخاري (٢/ ١١٣) برقم: (١٤٣٣).

يحسب عليه عند العطاء، ومن علم أن الله يرزقه من حيث لا يحتسب فحقه أن يعطي ولا يحسب»^(١).

فلنجعل رمضان وسيلة للتعود على الكرم والجود والسخاء، فلا نبخل على الله بأموالنا ولا أوقاتنا ولا جهدنا، ولننضح بها بغير حساب.

جاء في شعب الإيمان للبيهقي أن يزيد بن مروان جاءه مال فجعل يصره صرراً ويبعث به إلى إخوانه ويقول: «إني لأستحي من الله - عَزَّجَلَّ - أن أسأل الجنة لأخ من إخواني، ثم أبخل عليه بالدينار والدرهم»^(٢).

٣- صلة الرحم

قبل أن نتحدث عن واجبنا في رمضان تجاه أرحامنا أدعو القارئ إلى التأمل في هذا الحديث النبوي الشريف لنعلم كم نحن مقصرون في حق أنفسنا، زاهدون في خيري الدنيا والآخرة.

(١) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٠٠)

(٢) شعب الإيمان (١٣/ ٣١٦ برقم: ١٠٣٩١)، وأورده ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (ص: ٧١).

قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُهُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ، وَالْخِيَانَةِ، وَالْكَذِبِ، وَإِنْ أَعَجَلَ الطَّاعَةَ ثَوَابًا لَصَلَةِ الرَّحِمِ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَكُونُوا فَجْرَةً، فَتَنُمُو أَمْوَالَهُمْ، وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ، إِذَا تَوَاصَلُوا»^(١).

ولا يتعلل البعض بوجود قطيعة وعداوة قديمة بينه وبين أهله وأرحامه، فلقد أتى رجل النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلَهُمْ وَيَقْطَعُونَنِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ، قَالَ: «لَئِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»^(٢).

٤- إطعام الطعام

وهذا باب عظيم من أبواب الخير غفل عنه الكثير من الناس.

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٦/٤ برقم: ٤٩٠٢)، والترمذي (٢٤٥/٤)

برقم: ٢٥١١)، وابن ماجه (١٤٠٨ / ٢ برقم: ٤٢١١)، وأحمد (٨ / ٣٤)

برقم: ٢٠٣٧٤) باختلاف يسير، الجامع الصغير (برقم: ١٠٦٤٢).

(٢) صحيح مسلم (١٩٨٢ / ٤ برقم: ٢٥٥٨).

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَغُرَفًا يُرَى بُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا، وَظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا» فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَنْ هِيَ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَصَلَّى لَهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(١).

ولقد كان صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُطْعِمُ الطَّعَامَ الْكَثِيرَ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا صَهِيبُ، إِنَّكَ تَطْعِمُ الطَّعَامَ الْكَثِيرَ وَذَلِكَ سَرَفٌ فِي الْمَالِ، فَقَالَ صَهِيبُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «خِيَارُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَرَدَّ السَّلَامَ». فَذَلِكَ الَّذِي يَحْمِلُنِي عَلَى أَنْ أَطْعِمَ الطَّعَامَ»^(٢).

وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «لَأَنْ أَجْمَعَ أَنْاسًا مِنْ أَصْحَابِي عَلَى صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَخْرَجَ إِلَى السُّوقِ فَأَشْتَرِيَ نَسَمَةً فَأَعْتَقَهَا»^(٣).

(١) رواه أحمد (٤٤٩/٢) برقم: (١٣٣٨)، وابن خزيمة (٣/٣٠٦) برقم: (٢١٣٦).

(٢) مسند أحمد طبعة الرسالة (٣٩/٣٤٨) برقم: (٢٣٩٢٦)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/١٥٣).

(٣) الأدب المفرد (١/١٩٩) برقم: (٥٦٦) باختلاف يسير، مكارم الأخلاق للطبراني (١/٣٧٥) برقم: (١٧١) واللفظ له.

ومن أهم صور ذلك إطعام المساكين ففيه خير عظيم، قال رسول الله ﷺ للرجل الذي اشتكى له من قسوة قلبه: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ، فَأَطْعِمِ الْمُسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ»^(١).

فلنجهز وجبات الإفطار للفقراء والمساكين ونجلس معهم نشاركهم طعامهم ونشعرهم بإخوتنا لهم.. ومع تذكرنا هؤلاء علينا ألا ننسى إخواننا المكروبين في كثير من بلدان العالم والتي يعاني أهلها من الظلم والاضطهاد والجوع والحرمان، ولنتذكر بشري رسول الله ﷺ: «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ»^(٢).

٥- الإصلاح بين الناس

إذا ما نظرنا للأسباب التي من أجلها يتشاحن الناس لوجدناها صغيرة وتافهة نفخ فيها الشيطان حتى أوقع القطيعة بين الأب وابنه، والجار وجاره، والصديق وصديقه.. في هذا

(١) رواه أحمد في المسند (١٣/ ٢١ برقم: ٧٥٧٦)، وحسنه ابن حجر في فتح الباري (١١/ ١٥١).

(٢) مسند أحمد مخرجا (٢٨/ ٢٦١ برقم: ١٧٠٣٣) واللفظ له، وسنن الدارمي (٢/ ١٠٦٢ برقم: ١٧٤٤)، وابن ماجه (١/ ٥٥٥ برقم: ١٧٤٦).

الجو المسمم تكثر الظنون، وتُقطع الأرحام، وتتوارث العداوات؛ لذلك كان السعي للإصلاح بين الناس فضل عظيم، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ مَّجْلُوهُمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

ولقد وعد رسول الله ﷺ القائم بهذا العمل الجليل بدرجة أعلى من درجة الصائم القائم المتصدق؛ لما في ذلك من إشاعة جو التراحم والتواد بين أفراد المجتمع. قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصَّيَّامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ»^(١).

ولنبداً بأنفسنا فنعفو عمن ظلمنا، ونُحسن لمن يسيء إلينا، ولنكن قدوة لغيرنا في الحلم والأناة وسعة الصدر.

٦- قضاء حوائج الناس

من صور الإحسان العظيمة: السعي في قضاء حوائج

(١) أخرجه أحمد (٤٥/٤٩٩ برقم: ٢٧٥٠٨)، وأبو داود (٤/٢٨٠ برقم: ٤٩١٩)، وسنن الترمذي (٤/٢٤٤ برقم: ٢٥٠٩) واللفظ له.

الناس، ولأن المحسن رجل قد سعى إلى خدمة الآخرين حباً في الله وشفقة على خلقه كان جزاؤه من جنس عمله. قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدَ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأنَّ أَمْسِيَّ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَرَّ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمَضِّيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثَبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَرْوُلِ الْأَقْدَامِ، وَإِنَّ الْخُلُقَ السَّيِّئَ يُفْسِدُ الْأَعْمَالَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ»^(١).

أما الساعي على الأرملة والمسكين فله أجر خاص. قال رسول الله ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ»^(٢).

إن هذه الأحاديث لا تحتاج إلى تعليق سوى الاجتهاد في

(١) رواه الطبراني (٤٥٣/١٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣٤٨/٦) وقوله: «وإن الخلق السيئ...» من زيادة أبي نعيم.

(٢) رواه البخاري (٦٢/٧) برقم: ٥٣٥٣، ومسلم (٢٢٨٦/٤) برقم: ٢٩٨٢.

تلمّس حوائج الناس والمبادرة إلى قضائها، ولقد كان حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحزن على اليوم الذي لا يجد فيه محتاجاً ليقضي له حاجة فيقول: «مَا أَصْبَحْتُ وَلَيْسَ بِيَايِ صَاحِبُ حَاجَةٍ؛ إِلَّا عَلِمْتُ أَنَّهَا مِنْ الْمَصَائِبِ الَّتِي أَسْأَلُ اللَّهَ الْأَجْرَ عَلَيْهَا»^(١).

٧- أنقذ غيرك

لقد نجح إبليس في إغواء الكثير من الناس؛ فصر فهم عن عبادة ربهم وشغلهم بزينة الحياة الدنيا، وسار بهم في طريق يؤدي بهم إلى النار. فهل نتركهم وشأنهم أم نحاول إنقاذهم؟!

يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] فلا سبيل لإيقاظ هؤلاء المساكين إلا بدعوتهم إلى الله. ولقد رَغِبَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ للقيام بهذه المهمة، فجعل مقامها مقام الأنبياء والرسل، أما أجرها فلا حدود له.

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا

مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَتِهِ ﴿[الجن: ٢٢، ٢٣].

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٣/ ٥١).

فهل لنا -يا أخي- أن ننال شرف هذه المهمة ونعمل على إنقاذ من حولنا من النار؟

هل لنا أن نستفيد من أجواء رمضان حيث النفوس طيعة والشياطين مُصَفَّدة؟

يقول رسول الله ﷺ: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرُبَتْ»^(١).

فهيا بنا نجتهد لنكون سبباً في هداية وإنقاذ غيرنا.

هيا بنا نوقظ غافلاً، ونهدي حائرًا، ونرشد ضالاً.

هيا بنا نبداً بالأقربين، فنعمل على تبصيرهم بحقيقة الدنيا ونجذبهم معنا إلى المسجد.

هيا بنا نتخير بعضاً ممن يقبلون على المسجد في رمضان، فنصحح له فهمه ونبصره بطريق صحيح إلى الله.. هيا نردد دعاء الرسول ﷺ: «وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»^(٢).

(١) جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير» للسيوطي (٦/ ٥٢٩).

(٢) سنن النسائي (٣/ ٥٤ برقم: ١٣٠٥)، ومسند أحمد (٣٠/ ٢٦٠ برقم: ١٨٣٢٥).

خلاصة القسم الثاني

إن مدار السعادة وقطب رحاها يدور على أمرين:
إخلاص العبادة لله، والإحسان إلى الخلق.

وصور الإحسان كثيرة علينا أن نحرص على القيام بها،
وأن نستفيد من الأجواء التي يشيعها رمضان في التعود على
هذا السلوك.

ومن ذلك: الإحسان إلى الزوجة والأولاد بالمتابعة
المستمرة لهم، ووضع البرامج التي تنهض بهم، والذي يساعد
على نجاح المهمة: الحرص على الجلوس اليومي معهم في وقت
يناسبهم.

ومن صور الإحسان أيضًا: صلة الرحم وإطعام الطعام،
ومداومة البذل والعطاء، والسعي في قضاء حوائج الناس،
وإصلاح ذات بينهم، ودعوتهم إلى الله.

أتعهد

.. وأخيراً، فهلاً وافقتني -يا أخي- أن يأخذ الواحد منا العهد على نفسه للقيام بهذه الأمور، فلقد قال تعالى: ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾ [الأنفال: ٧٠]، وقال رسول الله ﷺ في الحديث: «وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ»^(١). فلعل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يرى صدقنا فيعطينا سؤالنا ويبلغنا مرادنا، فكما قيل: الإمداد على قدر الاستعداد.

أخي، إن النفس دائماً تركن إلى الخمول والكسل، وكلما أعطيتها من الراحة طلبت المزيد، وشهر رمضان ساعات معدودات، فخذ من نفسك لنفسك العهد والميثاق لتنفيذ تلك الواجبات، وخذها بقوة، وسل الله العون والقبول.

١. عدم الإكثار من النوم بالنهار.

٢. عدم الإكثار من الطعام والشراب.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الحلم (١/٤٣ برقم: ٤٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٠/١٨٤ برقم: ٤٦٩٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً.

٣. عدم الإكثار من الكلام والضحك.
٤. التفكير في القرآن وإعادة ما أقرأه وأنا غافل.
٥. الإكثار من ذكر الموت.
٦. طول المكث في المسجد.
٧. التبكير إلى صلاة الجماعة.
٨. تخصيص مسجد في البيت للزوجة والأولاد.
٩. الجلوس مع الزوجة والأولاد يوميًا للاطمئنان على الأحوال مع القراءة النافعة.
١٠. التهجد والدعاء والاستغفار في الجزء الأخير من الليل (قبل الفجر).
١١. اغتنام الأوقات الفاضلة في اليوم وعدم إضاعتها بالنوم أو الغفلة.
١٢. كثرة الدعاء - بحضور قلب - بخاصة في الأوقات المندوب فيها.
١٣. وضع صندوق في البيت للصدقة والتبكير بها يوميًا.

١٤. ربط عبادة الذكر بالفكر، والعمل على حضور القلب ما استطعت.

١٥. الاعتكاف ولو لساعة يوميًا والاجتهاد في الاعتكاف في العشر الأواخر.

١٦. محاسبة النفس عن الفترة الماضية في المجالات المختلفة.

١٧. الإكثار من عمل الخير.

١٨. إطعام الطعام وبخاصة المساكين.

١٩. السعي في قضاء حوائج الناس.

٢٠. العفو والصفح والحلم وسعة الصدر.

٢١. الدعوة إلى الله.



برنامجي في رمضان

أخي الحبيب: لكل منا ظروفه وشواغله، وحتى لا نفاجأ بتسرب أيام رمضان من بين أيدينا، أقترح عليك وضع برنامج يومي تستعمل فيه الوسائل السابقة حسب ظروف وقتك.. وهذه بنود مقترحة لهذا البرنامج في صورة أسئلة، عليك أن تجيب عنها، وتضيف ما تراه مناسباً.

الأعمال اليومية

أي الصلوات سأذهب فيها إلى المسجد مبكراً؟

.....

الصلوة

متى سأقرأ القرآن بتفكير ودون سرحان؟

.....

القرآن

أي وقت سأنوي الاعتكاف؟ وأين سأعتكف العشر الأواخر؟

.....

الاعتكاف

الصدقة

أين سأضع صندوق الصدقة؟ وأي أوقات اليوم سأصدق؟

.....

صلاة التراويح

أين سأصلي؟ في المسجد، أم في البيت في مكان هادئ؟

.....

أي الأيام سأصطحب فيها الزوجة والأولاد؟

.....

الذكر والفكر

ما مقدار وردي اليومي من الذكر المطلق؟ (يراعى التنويع)

.....

متى وأين سيكون أدائي للورد؟

.....

قيام الليل

متى سأستيقظ للصلاة قبل الفجر؟

.....

ما الوسائل التي سأأخذها كي تعينني على التهجد؟

.....

**الزوجة
والأولاد**

أين سيكون مكان مسجد البيت؟

.....

متى سأجلس مع الزوجة والأولاد؟

.....

ما برنامج هذه الجلسة؟

.....

ما البديل عندما يتعذر وجودي معهم؟

.....

**الدعوة
إلى الله**

بمن سأبدأ؟

.....

وما الوسائل التي سأستخدمها في الدعوة؟

.....

الأعمال الأسبوعية

أعمال الخير مع (الوالدين - الأقارب - الجيران - الزملاء - الفقراء - الأيتام - المسلمين المضطهدين - عموم المسلمين).

أعمال الخير

ما أعمال الخير التي أنوي القيام بها؟

.....

الأسبوع
الأول

ما أعمال الخير التي أنوي القيام بها؟

.....

الأسبوع
الثاني

ما أعمال الخير التي أنوي القيام بها؟

.....

الأسبوع
الثالث

ما أعمال الخير التي أنوي القيام بها؟

.....

الأسبوع
الرابع

محاسبة النفس

متى سأجلس مع نفسي منفرداً؟ (أحدد يوماً في الأسبوع لذلك)

.....

أي مجالات المحاسبة سأبدأ بها؟

.....

ذكر الموت

متى سأذهب لزيارة المقابر؟

.....

متى سأكتب وصيتي إلى زوجتي؟

.....

متى سأكتب وصيتي إلى والدي؟

.....

متى سأكتب وصيتي إلى أولادي؟

.....

أي الأيام أخصصها لزيارة المرضى في المستشفيات؟

.....

وفي النهاية

هل علمت -يا أخي- ماذا نريد من رمضان؟

نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم صيامنا وقيامنا وأن يبلغنا مرادنا

والحمد لله رب العالمين



الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	٥
شهر المغفرة.....	٨
هل من مشمر للجنة؟!.....	٩
أحوال الناس مع رمضان.....	١٢
علامات صلاح القلب.....	١٤

القسم الأول: مع الله

أولاً: الصيام.....	١٨
ثانياً: التعلق بالمساجد.....	١٩
ثالثاً: القرآن الكريم.....	٢١
كيف ننتفع بالقرآن؟.....	٢٣

الموضوع الصفحة

٢٨..... رابعاً: قيام الليل

٣٠..... من فقه القيام

٣١..... اسجد واقترب

٣٢..... ماذا نفعل لو حُرِمنا القيام؟! ..

٣٣..... خامساً: الاستفادة من الأوقات الفاضلة

٣٧..... سادساً: الاعتكاف

٣٨..... سابعاً: الدعاء

٣٩..... ثامناً: الصدقة

٤١..... تاسعاً: الفكر والذكر

٤٣..... عاشراً: محاسبة النفس

٤٤..... مجالات المحاسبة

الموضوع الصفحة

٤٦..... خلاصة القسم الأول

القسم الثاني: مع الناس

٤٩..... ١- الإحسان إلى الزوجة والأولاد

٥٠..... ٢- الجود والكرم

٥٢..... ٣- صلة الرحم

٥٣..... ٤- إطعام الطعام

٥٥..... ٥- الإصلاح بين الناس

٥٦..... ٦- قضاء حوائج الناس

٥٨..... ٧- أنقذ غيرك

٦٠..... خلاصة القسم الثاني

٦١..... أتعهد

الموضوع	الصفحة
برنامجي في رمضان.....	٦٤
الأعمال اليومية.....	٦٤
الأعمال الأسبوعية.....	٦٧
الفهرس.....	٧١

